المدينة تستعدّ للاحتفال بالسلام وبالزفاف في آنٍ معاً.

وعليه فقد وصل «كركلاّ» ذات يوم مرتدياً قميصه الغاليّ الطويل يحيط به عن قرب حرسه وتتبعه كتائبه. ولكنهم لم يكادوا يجتازون جسر «سلوقية» حتى دوّت صرخة في صفوفهم. وكانت تلك الإشارة المتّفق عليها لكي ينقضّ كلّ «روماني» شاهراً سيفه على أقرب «پارتي» إليه. وذُبح أبناء الطبقة النبيلة المتبرّجون الرافلون في أثوابهم الاحتفالية، وبينهم عدد كبير من عشيرة «كمساراغام» التي منها «مريم»؛ ثم أتى دور البلديين. فأخذ عدد من الرجال والنساء يتدافعون ليكونوا شهوداً على تلك اللقاءات المشهودة. ونهب «الرومان» وأحرقوا القصور والمعابد، وأوّلها معبد «نَبو»، كما لو كان لإنجاز نبوءة الصنم المشؤومة.

وعندها حشد «أرطبان» وزعماء الأُسَر الكبيرة السبع عساكرهم في حديقة «أسپانابر» لدفع المجتاحين. ولكن ما الجدوى؟ فلم يكن الأمرُ أمرَ اجتياح وإنما هي غارة على طريقة «كركلاّ» بكل ما في الكلمة من معنى. فما هي إلا ساعة حتى كان «الرومان» يغادرون المدينة لملاقاة معظم عديد جيشهم الذي كان يعسكر حول ممرّ (ماهوزيه) الجبليّ. وأراد «الخالدون»، وهم صفوة المقاتلين، أن يلحقوا بهم، غير أن «أرطبان» منعهم خوفاً من الوقوع في كمين، إذ كان مقتنعاً بأن عمل «كركلاّ» لم يكن يستهدف سوى إثارة الجيش «البارثي» لكي يخرج خارج المدينة فيُمزّق إرْباً.

وإذ خاب رجاء «الرومان» لأن المواجهة لم تحدث بعد انتظار ثلاثة أيام فقد قرّروا الانتقام. وخلال أسابيع وشهور، وخلال السنة الأولى بأكملها من حياة «ماني»، ضرب إعصار «كركلاّ» (ما بين النهرين) محطّماً نواويس الملوك القدماء، مُحرِقاً حقول القمح، مُقتلِعاً الكروم، مُطيحاً رؤوس الفلاحين والنخيل.

وإنها لمعجزة أن تنجو (ماردين). فقد وصلت الجيوش الرومانية إلى أطراف البلدة، واحتبست «مريم» في المنزل مع ابنها و«أوتاكيم» وخَدَمها وبعض الفلاحين والعبيد. وكانوا ينتظرون ما لا بدّ منه. غير أن ما لا بدّ منه كان قد تحوّل. وذات يوم سرت شائعة لا يُدرى كيف، عبر الأزقة المُقْفرة: لقد مات